الجوهر الفريد من كتاب التوحيد للقرضاوي

الجوهر الفريد من كتاب حقيقة التوحيد
للشيخ يوسف القرضاوي حفظه الله
بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد:
فهذا مختصر لكتاب "حقيقة التوحيد" للدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله.
الإيمان بالله أصل العقائد كلها
إن الإيمان بالله – أي بالذات الغيبية العلوية المختارة القاهرة الجديرة بالطاعة والعبادة – هو روح الدين، أي دين، وكذلك هو روح الإسلام، وأصل عقائده كلها، كما بينها كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.
فهذا القرآن الكريم حين يتحدث عن أركان الإيمان ومتعلقاته يجعل الإيمان بالله أولها وأصلها كما في قوله تعالى: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربّه والمؤمنون، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله)، وقوله: (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب و النبيين) وقوله: (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيداً).
والرسول الكريم يقول في حديث جبريل المشهور حين سأله عن الإيمان: ((الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره)).
فالإيمان بالله هو الأصل، وكل أركان العقيدة الأخرى مضافة إليه وتابعه له، فأنت بعد أن تؤمن بالله جل شأنه، تؤمن – بالتالي – بملائكته وكتبه ورسله ولقائه وحسابه وقضائه وقدره.
فالإيمان بهذه كلها فرع عن الإيمان بالله، ومبني عليه. ولا يتصور الإيمان بالرسول إلا بعد الإيمان بالمرسل، ولا بالجزاء والحساب إلا بعد الإيمان بالمجازي والمحاسب.

والإيمان بالله ، يتضمن الإيمان بوجوده بالضرورة، والإيمان بوحدانيته في ربوبيته وألوهيته.
والإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، التي يتجلى فيها اتصافه بكل كمال يليق به، وتنزهه عن كل نقص.

وقد تبين لنا من دراستنا السابقة: أن وجود الله تعالى حقيقة لاريب فيها، بل هي أظهر الحقائق على الإطلاق، شهدت بذلك الفطر السليمة، ودلت على ذلك العقول الرشيدة، وأكد الراسخون في العلم بما شهدوا في الآفاق وفي أنفسهم من عجائب الإبداع والتسوية والتقدير والهداية.
وإذا كانت هذه الحقيقة الكبرى قد خفيت على بعض الناس، فذلك على نحو ما قيل: من شدة الظهور الخفاء.
وإذا كان آخرون قد كابروا الفطرة المشتركة بين البشر، وعاندوا منطق العقل والعلم، وجحدوا بالله تعالى، فهم بمثابة الشذوذ الذي يثبت القاعدة ولا ينفيها. ...
لا إله إلا الله عنوان التوحيد
وللتوحيد الذي جاء به الرسل عنوان يعبر عن حقيقته في كلمة موجزة ، هذا العنوان هو كلمة ((لا إله إلا الله)) التي تسمى ((كلمة التوحيد)) أو ((كلمة الإخلاص)) أو ((كلمة التقوى)).
وهذه الكلمة العظيمة تتضمن نفي الإلهية عن كل ما سوى الله ، وإثباتها لله وحده ، فهو وحده الإله الحق ، وما عداه مما عبد الناس في مختلف العصور فآلهة زائفة باطلة صنعتها الجهالة والأوهام. كما قال تعالى: (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير).
والإله هو: المعبود بحق – أي المحبوب المطاع ، الذي يستحق أن يعبد – وذلك لما اتصف به من صفات الكمال ، التي تقتضي أن يخص بنهاية الحب ونهاية الخضوع ، وهما معنى العبادة ، فان الإله – كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هو الذي تألهه القلوب بحبها ، وتخضع له ، وتذل له ، وتخافه وترجوه ، وتنيب إليه في شدائدها ، وتدعوه في مهماتها ، وتتوكل عليه في مصالحها ، وتلجأ إليه وتطمئن بذكره ، وتسكن إلى حبه.. وليس ذلك إلا لله وحده.
ولهذا كانت ((لا إله إلا الله)) أصدق الكلام وأفضله ،

وكانت رأس الأمر ، وأحسن الحسنات ، جاء في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((أفضل ما قلته أنا والنبيون قبلي: لا إله إلا الله)).. ...

التوحيد جوهر الإيمان بالله:
وإذا عرفت يا أخي أن الإيمان بالله هو جوهر العقائد الإسلامية جميعاً فواجبك أن تعرف هنا كذلك أن توحيد الله هو جوهر الإيمان بالله تعالى. وإذا تجرد عن التوحيد الحق ، كان كفراً وشركاً ، رجساً وزوراً ، وظلماً عظيماً ، وضلالاً مبيناً.
ولهذا كان لزاماً عليك أيها المسلم أن تعرف حقيقة التوحيد ، الذي أمر الله به ، وأقام عليه دينه ، وأنزل به كتابه ، وبعث به رسوله ، وعلق خيري الدنيا والآخرة على تحقيقه وتجريده ، وجعل الجنة لأهله وأنصاره ، والنار لخصومه وأعدائه – فإن كثيراً من الطوائف نسبوا أنفسهم إلى التوحيد ، وادعوا أن ما هم عليه هو التوحيد الخالص ، وما عليه غيرهم هو الباطل.
وكل يدعى وصلاً لليلى ******* وليلى لا تقر لذا وذاكا
فأنصار فلسفة أرسطو ومن تبعه ممن سموا ((فلاسفة المسلمين)) تجد التوحيد عندهم يتمثل في: إثبات وجود مجرد عن الماهية والصفة ، بل هو وجود مطلق لا يعرض لشيء من الماهيات ، ولا يقوم به وصف ، ولا يتخصص بنعت ، بل صفاته كلها سلوب وإضافات.. حتى انتهى توحيد هؤلاء إلى إنكار ذات الرب الذي دعت إليه أديان السماء ، وإنكار خلقه للعالم ، وتدبيره له ، وعلمه بكل ما يجري فيه.. فهم يقولون بقدم الأفلاك ، وأن الله لا يبعث من في القبور ، وأن النبوة مكتسبة ، وأنها حرفة من الحرف.. وأن الله لا يعلم شيئاً من الموجودات المعينة ألبتة ، وأنه لا يقدر على قلب شيء من أعيان العالم ، ولا شق الأفلاك ولا خرقها.. وأنه لا حلال ولا حرام ، ولا أمر ولا نهي ، ولا جنة ولا نار..فهذا هو توحيد هؤلاء !!

وهل أتاك نبأ دعاة ((وحدة الوجود)) ؟ إنهم يزعمون أنهم وحدهم الموحدون ، ومن عداهم فهم المعددون. فهل علمت ما توحيدهم المزعوم ؟

توحيدهم: أن الحق المنزه هو عين الخلق المشبه. وأنه سبحانه هو عين وجود كل موجود وحقيقته وماهيته.. وأنه آية كل شيء ، وله فيه آية تدل على أنه عينه. وهذا عند محققيهم من خطأ التعبير. بل هو نفس الآية ، ونفس الدليل ، ونفس المستدل ، ونفس المستدل عليه.فالتعدد بوجود اعتبارات وهمية لا بالحقيقة والوجود. فهو – عندهم – عين الناكح ، وعين المنكوح ، وعين الذابح ، وعين المذبوح ،وعين الآكل ، وعين المأكول. وهذا عندهم هو السر الذي رمزت إليه هوامس الدهور الأولية ، ورامت إفادته الهداية النبوية ، كما قال محققهم وعارفهم ابن سبعين !

ومن فروع هذا التوحيد وثماره: أن فرعون ونمرود وأمثالهما مؤمنون كاملو الإيمان ، عارفون بالله على الحقيقة. وأن عباد الأصنام إنما عبدوا عين الله لا غيره. فهم على الحق والصواب.. وأن لا فرق في التحليل والتحريم بين الأم والأخت وبين الأجنبية ، ولا بين الماء والخمر ، ولا بين الزواج والزنا. الكل من عين واحدة ، بل هو العين الواحدة.. وأن الأنبياء ضيقوا الطريق على الناس ، وبعدوا عليهم المقصود ، والأمر ما جاءوا به ودعوا إليه !!

وإن ننس لا ننس هنا توحيد ((المعتزلة)) الذين سموا أنفسهم أهل التوحيد والعدل. وجعلوا التوحيد أول أصولهم الخمسة.

ترى ما مضمون هذا التوحيد ؟

إنه إنكار قدر الله تعالى ، وجحد عموم مشيئته للكائنات وقدرته عليها.. ومتأخروهم ضموا إلى ذلك توحيد ((الجهمية)) فأصبحت حقيقة التوحيد عندهم: إنكار القدر ، وإنكار حقائق الأسماء الحسنى ، والصفات العلا.

وفي مقابل هذا التوحيد الأعرج يجيء توحيد ((الجبرية)) ومضمونه عندهم: تفرد الرب بالخلق والفعل ، وأن العباد غير فاعلين على الحقيقة ، ولا محدثين لأفعالهم ، ولا قادرين عليها ، وأن أفعالهم الاختيارية لا تعدو أن تكون مثل حركات الأشجار عند هبوب الرياح ، وأن الرب تعالى لم يفعل لحكمة ولا غاية تطلب بالفعل ، وليس في المخلوقات قوى وطبائع وغرائز وأسباب ، بل ما تم إلا مشيئة محضة ، ترجح مثلاً على مثل ، بغير مرجح ولا حكمة ولا سبب

ألبتة.
وهل يجهل ذو بصيرة توحيد المضللين من عوام المسلمين ، وتوحيد مضلليهم ممن يدعون المشيخة ، ويتزينون زي الدين ورجاله الصالحين ؟
إنهم يدعون غير الله ويرجون ويخافون غير الله ، وممن ادعوا لهم أنهم أولياء أو أقطاب أو أوساط أو أبدال أو غير ذلك من الألقاب.
فهم يطوفون بأضرحتهم يسألونهم أكثر مما يسألون الله ، ويستعينونهم أكثر مما يستعينون الله. يهرعون إليهم في الملمات ، يطلبون منهم قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، بدعوى أنهم وسطاء بينهم وبين الله ، ولولا الواسطة لذهب – كما قيل – الموسوط !
وقبل هذا كله لا يغيب عنك ((توحيد النصارى)) فقد زعموا أن ديانتهم ديانة توحيدية ، وأنهم لم يخرجوا من دائرة التوحيد ، برغم اعتقادهم وقولهم: إن الله ثالث ثلاثة.. وهي: الأب والابن والروح القدس ، فهم عائلة أو شركة مقدسة: الإله الأب ، والإله الابن ، والأقنوم الثالث المسمى ((روح القدس)).
فإذا قلت لهم: كيف تكونون موحدين مع قولكم بهؤلاء الثلاثة ؟ قالوا: الثلاثة واحد ، والواحد ثلاثة !! ولا مجال للعقل والمنطق في أمر العقيدة ، فشعارهم هنا: اعتقد وأنت أعمى !!
من أجل ذلك كان من أوجب الواجبات بيان حقيقة التوحيد الذي دعا إليه الإسلام ، وبنى عليه تعاليمه كلها ، حتى يتبين الحق من الباطل.
التوحيد المأمور به:
إنه توحيد اعتقادي علمي ، وتوحيد عملي سلوكي.

وبعبارة أخرى.. هما توحيدان لا يغني أحدهما عن الآخر: توحيد في المعرفة والإثبات والاعتقاد.. وتوحيد في الطلب والقصد والإرادة.
فلا يقبل إيمان امرئ عند الله ما لم يقم بتوحيده سبحانه: علماً واعتقاداً ، بأن يؤمن بأنه تعالى واحد متفرد في ذاته وصفاته وأفعاله ، لا شريك له ولا شبيه له ، ولا ولد ولا والد له.
وتوحيده كذلك: قصداً وعملاً ، بأن يفرده عز وجل بالعبودية الكاملة ، والطاعة المطلقة ، والذل له والإنابة إليه والتوكل عليه والخشية منه والرجاء فيه.. الخ.
والتوحيد بالمعنى الأول هو الذي أفصحت عنه ودلت

عليه بوضوح سورة ((الإخلاص)) بتمامها ، وأول سورة ((آل عمران)). وأول سورة ((طه)) ، وأول سورة ((ألم. السجدة)) ، وأول سورة ((الحديد)) ، وآخر سورة ((الحشر)).. وغيرها.

والتوحيد بالمعنى الثاني ، هو ما تضمنته ، ودعت إليه ، ودلت عليه ، سورة: (قل يا أيها الكافرين) ، وجملة سورة ((الأنعام)) ، وأول سورة ((الأعراف)) وآخرها ، وأول سورة ((يونس)) ووسطها وآخرها ، وأول سورة ((الزمر)) وأواخرها.. وغالب سور القرآن. بل قال العلامة ابن القيم: إن كل سورة في القرآن متضمنة لنوعي التوحيد.

وقد جرى كثير من المصنفين قديماً وحديثاً ، وعلى تسمية النوع الأول من التوحيد ((توحيد الربوبية)) ، وعلى تسمية النوع ((توحيد الإلهية)) أو ((الألوهية)). وأحسبك أيها القارئ الكريم في حاجة إلى إلقاء مزيد من الضوء على معنى كل من هذين المصطلحين ، حتى تكون على بينة من ربك ، وبصيرة من دينك ، وليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حي عن بينة. فما معنى توحيد الربوبية ؟ وما معنى توحيد الألوهية

أولاً: توحيد الربوبية

ومعناه اعتقاد أنه تعالى رب السموات والأرض وخالق من فيهما وما فيهما ، ومالك الأمر في هذا العالم كله لا شريك له في ملكه ، ولا معقب عليه في حكمه، فهو وحده رب كل شيء ، ورازق كل حي ، ومدبر كل أمر ، وهو وحده الخافض الرافع ، المعطي المانع ، الضار النافع ، المعز المذل ، وكل من سواه وما سواه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً ، إلا بإذن الله ومشيئته. وهذا القسم لم يجحده إلا الماديون الملحدون الذين ينكرون وجود الله تعالى ، كالدهريين قديماً والشيوعيين في عصرنا. ومثل الماديين ((الثنوية)) الذين يعتقدون أن للعالم إلهين. إلهاً للنور وإلهاً للظلمة ، أما معظم المشركين كالعرب في الجاهلية فكانوا يعترفون بهذا النوع من التوحيد ولا ينكرونه ، كما حكى عنهم القرآن: (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله) ، (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، ليقولن الله) ، (لمن الأرض ومن فيها إن كنتم

تعلمون سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله ، قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله ، قل فأنى تسحرون).

فهذه أجوبة المشركين ، تدل على أنهم يقرون بربوبية الله تعالى للكون وتدبيره لأمره ، وكان مقتضى إيمانهم بربوبيته تعالى للكون أن يعبدوه وحده ولا يشركوا بعبادة ربهم أحداً ، ولكنهم أنكروا القسم الآخر من التوحيد هذا ، وهو توحيد الإلهية أو الألوهية.

ثانياً: توحيد الألوهية

ومعنى توحيد الألوهية ، إفراد الله تعالى بالعبادة والخضوع والطاعة المطلقة ، فلا يعبد إلا الله وحده ، ولا يشرك به شيء في الأرض أو السماء. ولا يتحقق التوحيد ما لم ينضم توحيد الإلهية إلى توحيد الربوبية. فإن هذا وحده لا يكفي ، فالعرب المشركون كانوا يقرون به ، ومع هذا لم يدخلهم في الإسلام لأنهم أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ، واتخذوا مع الله آلهة أخرى ، زعموا أنها تقربهم إلى الله زلفى ، أو تشفع لهم عند الله.

والنصارى لم ينكروا أن الله رب السموات والأرض ، ولكنهم أشركوا به المسيح عيسى ، واتخذوا إلهاً من دون الله ، وأعتبر القرآن هؤلاء وأولئك كفاراً تحرم عليهم الجنة ، ويخلدون في النار.

ومنذ أقدم العصور ضل الناس عن هذا التوحيد ، فعبدوا من دون الله آلهة شتى. عبد قوم نوح: وداً وسواع ويغوث ويعوق ونسراً.. وعبد قوم إبراهيم: الأصنام.. وعبد قدماء المصريين: العجل.. وعبد الهندوس: البقر.. وعبد المجوس: النار.. وعبد العرب: الأوثان والحجارة.. وعبد النصارى: المسيح وأمه.. وعبدوا الأحبار والرهبان من دون الله ، فهؤلاء كلهم مشركون ، لأنهم لم يفردوا الله تعالى بالعبادة. التي لا تستحق لأحد غيره.

ولكن ما معنى ((العبادة)) التي هي من حق الله وحده ؟

معنى العبادة:

العبادة كلمة تتضمن معنيين امتزج أحدهما بالآخر ، فصاروا شيئاً واحداً. وهما نهاية الخضوع مع نهاية

الحب. فالخضوع الكامل الممتزج بالحب الكامل هو معنى العبادة. فأما حب بلا خضوع ، أو خضوع بلا حب ، فلا يحقق معنى العبادة.. وكذلك بعض الخضوع مع بعض الحب لا يحقق العبادة ، بل لا بد من كل الخضوع مع كل الحب.

صور العبادة وأنواعها:

والعبادة ليست مقصورة على صورة واحدة ، كما يخيل لكثير من الناس ، بل لها أنواع وصور عديدة..

(أ) فمنها: الدعاء – أي الاتجاه إلى الله تعالى بطلب نفع أو
دفع ضر ، أو رفع بلاء أو نصر على عدو ، أو نحو ذلك.

فهذا الاتجاه بالسؤال المنبعث من القلب لله تعالى هو مخ العبادة وروحها كما في الحديث ((الدعاء هو العبادة)). (رواه الترمذي).

(ب) ومنها: إقامة الشعائر الدينية ، مثل الصلاة والصيام والصدقة والحج والنذر والذبح وما شابه ذلك. فلا يجوز أن توجه هذه الشعائر إلا لله (لا يجوز الصلاة لغير الله ولا الصيام والصدقة والنذر والذبح وغيرها من الشعائر).

(ج) ومنها: الانقياد والإذعان الديني لما شرع الله من أحكام ، أحل بها الحلال وحرم الحرام ، وحد الحدود ، ونظم شئون الحياة ، فلا يجوز لمن آمن بالله رباً أن يأخذ عن البشر النظم والأحكام والقيم والقوانين ، يخضع لها ويحكمها في حياته بغير سلطان من الله فهذا ضرب من العبادة.

أهمية توحيد الألوهية:

وهذا القسم من التوحيد هو أعظم أقسامه وأهمها ، وهو الذي وجه الرسل الكرام أكبر عنايتهم إليه ، كما سيأتي.. وهو الذي يتبادر إلى الذهن عند إطلاق كلمة ((التوحيد)).

وهو الذي بعث الله به رسله ، وأنزل كتبه. وأرى الناس آياته في الآفاق وفي أنفسهم ، ومن أجله حقت الحاقة ، ووقعت الواقعة ، ونشرت الدواوين ، ونصبت الموازين ، وقامت سوق الجنة والنار ، وانقسم الناس إلى شقي وسعيد ، فريق في الجنة وفريق في السعير.

...

بماذا يتحقق التوحيد ؟

إن التوحيد الذي جاءت به الرسل ، وعنى الإسلام

بتثبيته وتأكيده وحمايته لا يتحقق وترسخ جذوره وتمتد فروعه إلا إذا توافرت له العناصر الآتية:
العنصر الأول: إخلاص العبودية لله وحده.
العنصر الثاني: الكفر بكل الطواغيت والبراءة ممن عبدها أو والاها من دون الله.
العنصر الثالث: اتقاء الشرك بكل ألوانه ومراتبه ، وسد المنافذ إليه.
أولا – إخلاص العبودية لله:
أما إخلاص العبودية لله تعالى فمعناه: إعطاء الألوهية حقها الكامل من التعظيم والمحبة والخضوع المطلق ، وذلك يثبت بأمور ثلاثة:
1 - ألا يبغي الإنسان غير الله يعظمه كما يعظم الله.

قوله تعالى: (قل أغير الله أبغى رباً وهو رب كل شيء) ، فكل ما اتخذه الناس من أرباب عبدوها أو عظموها من دون الله أو مع الله يجب أن يسقط ويزول سواء أكانت أرباباً من الحجر أم من البشر ، ولهذا كانت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء: (ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله).
2 – ألا يتخذ غير الله ولياً يحبه كحب الله ، قال تعالى: (قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض) ؟.
وقال تعالى: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حباً لله).
إلى أن قال تعالى في شأنهم: (كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ، وما هم بخارجين من النار).
والمعنى: أنهم يحبون أندادهم وأولياءهم حباً ممتزجاً بالخضوع والخوف والتعظيم الذي لا يجوز أن يكون إلا لله.
وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله ، فدل على أنهم يحبون الله حباً عظيماً ولم يدخلهم في الإسلام ، فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله ؟ وكيف بمن أحب الند وحده ولم يحب الله ؟؟
إن مقتضى التوحيد أن يخلص المرء حبه لله ، ولا يتخذ ولياً ولا نداً يحبه كحب الله ، فالولاية لا تكون إلا لله: (أم اتخذوا من دونه أولياء ، فالله هو الولي وهو يحيى الموتى وهو على كل شيء قدير).

3 – ألا يبتغي غير الله حكماً ، يطيعه كما يطيع الله ، كما قال تعالى: (أفغير الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا ً) ؟.
وذلك أن الذي له حق الحكم في شئون عباده والتشريع لهم في أمور دينهم إنما هو الله وحده ، العليم بخلقه ، الرحيم بهم ، الخبير بما يصلحهم وما يفسدهم. (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير).

ومن هنا قرر القرآن الكريم أن الحكم – بمعنى التشريع – ليس إلا الله وحده ، كما قال تعالى: (إن الحكم إلا لله ، أمر ألا تعبدوا إلا إياه ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعملون).
كما اعتبر القرآن التحاكم إلى غير الله ورسوله خروجاً عن حقيقة الإيمان ، ودخولاً في طاعة الشيطان: (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلي الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً).
ثانياً – الكفر بالطواغيت:
كان العنصر الأول في تحقيق التوحيد هو إخلاص العبودية لله ، وإعطاء الألوهية حقها من التعظيم والمحبة والطاعة ، التي لا ينبغي أن تكون إلا لله سبحانه.
أما العنصر الثاني ، فهو الكفر بالطواغيت والبراءة من كل من عبدها أو والاها من دون الله ، حتى إن القرآن الكريم قدم أحياناً الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله ولهذا قال تعالى: (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها).
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من قال لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله) (رواه مسلم). فلم يجعل الإقرار بكلمة التوحيد ، عاصماً للدم والمال، حتى يضم إليها الكفر بما يعبد من دون الله.
ذلك أن الأشياء تتميز بأضدادها ، فالإيمان بالحق لا يتميز ويتحقق إلا بالكفر بالباطل ، والبراءة من أهله.

ولهذا أعلن إمام الموحدين – إبراهيم عليه السلام – براءته من آلهة قومه وأصنامهم وعداوته لهم كما قال تعالى: (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين). وقال سبحانه: (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده).
وبهذا نعلم أن التوحيد الحق لا يتم إلا إذا انضم إلى الإيمان بالله وعبادته ، الكفر بالطاغوت والبراءة من أوليائه ، ومن أجل ذلك كان نداء الرسل جميعاً إلى قومهم ما عرفنا من قبل: (أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت).
ولكن ما معنى الطاغوت ؟
الطاغوت كلمة مشتقة من ((الطغيان)) وهو مجاوزة الحد. وقد اختلفت عبارات السلف في تحيد معناه.
فقال عمر رضي الله عنه: الطاغوت: الشيطان.
وقال جابر رضي الله عنه: الطواغيت: كهان كانت تنزل عليهم الشياطين. وقال مالك: الطاغوت: كل ما عبد من دون الله.
وهذه الأقوال تذكر أمثلة للطاغوت ولكنها لا تحصر كل أفراده. وأضبط تحديد لمعنى الطاغوت ما ذكره الإمام ابن القيم رحمه الله قال: ((الطاغوت)) كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع ، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله ، أو يعبدونه من دون الله ، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ، أو يطيعونه فيما لا يعملون أنه طاعة لله. فهذه طواغيت العالم ، إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم أعرض عن عبادة الله تعالى إلى عبادة الطاغوت ، وعن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى طاعة الطاغوت ومتابعته.
ثالثاُ – اتقاء الشرك والحذر منه:
وهذا هو العنصر الثالث لتحقيق التوحيد ، وهو يقتضي معرفة أنواع الشرك كله أكبره وأصغره ، جليه وخفيه ، التحرر من كل شائبة للشرك ، والحذر من منافذه ومداخله.

إن الشيء – كما قلنا – لا يتميز إلا بضده ، فلهذا لا يعرف التوحيد خالصاً متميزاً إلا بمعرفة ضده وهو

الشرك.
فما حقيقة الشرك ؟
الشرك
الشرك.. أن يجعل المرء لله شريكاً فيما هو من خالص حقه سبحانه ، كأن مع الله إلهاً أو آلهة ، يعبدها أو يطيعها أو يستعين بها أو يحبها أو نحو ذلك مما لا يستحقه إلا الله جل شأنه.
وهذا هو الشرك الأكبر ، الذي لا يقبل معه عمل صالح ، بل لا يصلح معه عمل ، لأن أول شرط لقبول العمل وصلاحه أن يكون خالصاً لله كما قال تعالى: (فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً).
وهذا الذنب الذي لا يقبل المغفرة بحال: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء).
والجنة حرام على المشرك ، كما أن النار مأواه ومثواه قال تعالى: (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار).
أنواع الشرك
الشرك نوعان: شرك أكبر ، وشرك أصغر.
فالشرك الأكبر هو الذي لا يغفره الله ولا يدخل صاحبه الجنة أبداً.
والشرك الأصغر من كبائر الذنوب التي يخشى على من اقترفها وأصر عليها أن يموت كافرا ، إن لم يتداركه الله برحمته فيتوب قبل موته.
الشرك الأكبر جلي وخفي:
والشرك الأكبر أيضاً نوعان.. ظاهر جلي ، وباطن خفي.
فمن الشرك الأكبر الظاهر: عبادة إله أو آلهة مع الله سواء أكان هذا الآلة كوكباً كالشمس والقمر ، أو كان جماداً كالأصنام والحجارة ، أو كان حيواناً كالعجل والبقر ، أو إنسانا كالذين عبدوا فرعون وأمثاله من الملوك الذين ادعوا الألوهية أو ادعيت لهم ، ووجدوا في الناس من يصدقهم.
وكذلك الذين عبدوا ((بوذا)) أو المسيح عيسى ابن مريم ، أو كان من المخلوقات المغيبة عنا مثل الجن والشياطين والملائكة.. وقد وجد له عباد في أمم شتى.
من الشرك الأكبر الخفي: الدعاء والاستعانة بالموتى:

ومن الشرك الأكبر نوع خفي ، يخفي على كثير من الناس ومنه دعاء الموتى و المقبورين من أصحاب الأضرحة والمقامات ، والاستعانة بهم وطلب قضاء الحوائج منهم من شفاء المرضى وتفريج الكربات ، وإغاثة الملهوف ، والنصر على العدو ، مما لا يقدر عليه إلا الله ، واعتقاداتهم بأنهم يضرون وينفعون. وهذا أصل شرك العالم ، كما قال ابن القيم.
وسبب خفاء هذا الشرك أمران:
1 – أن الناس لا يسمون هذا الدعاء والاستعانة والاستغاثة بأصحاب القبور عبادة ، ويظنون أن العبادة إنما تنحصر في الركوع والسجود والصلاة والصيام ونحوها.
والحقيقة أن روح العبادة – كما ذكرنا – هو الدعاء ، كما جاء في الحديث: ((الدعاء هو العبادة)).
2 – أنهم يقولون: نحن لا نعتقد أن هؤلاء الأموات الذين ندعوهم ونستغيث بهم آلهة أو أرباب لنا ، بل نعتقد أنهم مخلوقون مثلنا. ولكنهم وسائط بيننا وبين الله وشفعاء لنا عنده.
وهذا من جهلهم بالله جل جلاله ، فقد حسبوه مثل الملوك الجبارين والحكام المستبدين ، لا يستطاع الوصول إليهم إلا بوسطاء وشفعاء.
وهو نفس الوهم الذي سقط فيه المشركون قديماً ، وحين قالوا عن آلهتهم وأصنامهم: (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) ، (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله).
ولم يعتقدوا يوماً أن آلهتهم وأصنامهم تخلق أو ترزق أو تحيى أو تميت ، كما قال تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم).
(قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج من الحي ومن يدبر الأمر ، فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون) ؟.

ومع هذا الاعتقاد في الله تعالى ، أنه خالق السموات والأرض ، وأنه الرزاق المدبر المحيى المميت.. والاعتقاد في الأصنام.. أنها مجرد وسائط وشفعاء لهم عند الله.. مع هذا كله رماهم القرآن بالشرك ، وسماهم المشركين ، وأمر بقتالهم حتى يتوبوا من

الشرك ويقولوا: ((لا إله إلا الله)) فمن قالها فقد عصم دمه وماله إلا بحق الإسلام.
إن الله تعالى غني عن الوسائط والشفعاء ، وهو أقرب إلى عبده من حبل الوريد ، كما قال تعالى:
(وإذا سألك عبادي عني فإني قريب).
(وقال ربكم ادعوني أستجب لكم).
وبابه تعالى مفتوح لكل من أراد الدخول ، ليس عليه حاجب ولا بواب.
من الشرك الأكبر: اتخاذ غير الله مشرعاً:
ومن الشرك الأكبر الذي يدق ويخفي أيضاً على كثير من الناس ، اتخاذ غير الله مشرعاً أو ابتغاء غير الله حكماً. وبعبارة أخرى: إعطاء بعض الناس لفرد أو جماعة حق التشريع المطلق لهم أو لغيرهم من البشر ، فيحلون لهم ويحرمون عليهم ما شاءوا ، ويشرعون لهم من الأنظمة والقوانين ، أو يضعون لهم من المناهج والأفكار ، ما لم يأذن به الله تعالى ، وما يضاد شرع الله سبحانه ، فيتبعهم الآخرون ويطيعونهم فيما شرعوا ووضعوا ، كأنه شرع إلهي ، أو حكم سماوي ، يطاع ولا يعصى.
إن الذي له الحق في التشريع لخلقه هو الله وحده. فهو الذي خلقهم ورزقهم وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ، فمن حقه وحده أن يكلفهم ويأمرهم وينهاهم ويحل لهم ويحرم عليهم ، لأنه رب الناس ، ملك الناس ، إله الناس، وليس لأحد غيره من الربوبية والملك والألوهية ما له ، حتى يكون له سلطة الحكم والتشريع.
إن العالم هو مملكة الله تعالى ، والناس في هذه المملكة عبيده ورعاياه ، وهو سبحانه سيد هذا المملكة وحاكمها ، فله وحده أن يحكم ويشرع ويحلل ويحرم ، وعلى الرعية أن يسمعوا ويطيعوا.

فمن أدعى من رعية هذه المملكة أن لأحد فيها حق الأمر والنهى والتحليل والتحريم والحكم والتشريع دون إذن من سيد المملكة أو حاكمها ، فقد جعل من بعض عبيد الملك شريكاً له في الملك ، منازعاً له في سلطة السيادة ، وفي اختصاصه بالحكم والسلطان.
ومن أجل ذلك حكم القرآن الكريم على أهل الكتاب بالشرك ، وسماهم مشركين ، لأنهم أعطوا أحبارهم ورهبانهم حق التشريع لهم ، فأطاعوهم فيما أحلوا لهم وما حرموا عليهم ، وقرن القرآن ذلك بعبادتهم

للمسيح ابن مريم ، سواء بسواء.
قال تعالى: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحداً ، لا إله إلا هو ، سبحانه عما يشركون).
وهذه الآية قد فسرها النبي صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم الطائي ، وكان نصرانياً في جاهليته ، وذلك أنه لما جاء مسلماً دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه هذه الآية. قال عدى: فقلت: إنهم لم يعبدوهم ، فقال صلى الله عليه وسلم: (بلى.. إنهم حرّموا عليهم الحلال ، وحللوا لهم الحرام فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم)).
فقد دلت هذه الآية وما فسرها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن من أطاع الله في معصية أو اتبعه فيما لم يأذن به الله ، فقد اتخذه رباً ومعبوداً ، وجعله لله شريكاً ،وذلك ينافي التوحيد الذي هو دين الله ، والذي دلت عليه كلمة الإخلاص ((لا إله إلا الله)) فإن الإله هو المعبود ، وقد سمى الله طاعتهم لأحبارهم ورهبانهم عبادة لهم ، وسماهم أرباباً – أي شركاء لله تعالى في العبادة. وهذا هو الشرك الأكبر ، فكل من أطاع مخلوقاً واتبعه على غير ما شرعه الله ورسوله فقد اتخذه رباً ومعبوداً وان لم يسمه بذلك كما قال تعالى في آية أخرى: (وإن أطعتموهم إنكم لمشركون).
ويشبه هذه الآية في المعنى قوله تعالى: (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله).

وإذا كان هذا حكم القرآن والسنة فيمن اتخذ غير الله مشرعاً ، واتبعه فيما لم يأذن به الله ، فكيف بمن جعل نفسه لله نداً فأعطاها حق الحكم والتشريع والتحليل الذي هو من خصائص الألوهية ؟ !
ألوان من الشرك الأصغر:
ودون الشرك الأكبر توجد ألوان وأنواع أخرى من الشرك ، تسمى ((الشرك الأصغر)) وهو من كبائر الذنوب ، بل أعظم عند الله من سائر الكبائر... منها:
- الحلف بغير الله:
ومن الشرك الأصغر.. الحلف بغير الله تعالى ، كأن يقسم بالنبي أو بالكعبة الشريفة أو بولي من الأولياء ، أو كبير من الكبراء ، أو يقسم بالوطن ، أو بالآباء والأجداد أو بغير ذلك من المخلوقات ، فكل ذلك من الشرك ، ففي الحديث: ((... ومن حلف بغير الله فقد

كفر – أو أشرك)) ، (رواه الترمذي وحسنه).
وذلك لأن في القسم تعظيماً للمقسم به ، والذي ينبغي أن يخص بالتعظيم والتقديس هو الله وحده، لهذا جاء النهى عن الحلف بغيره ، قال صلى الله عليه وسلم: ((لا تحلفوا بآبائكم)) ، وقال: ((من كان حالفاً فليحف بالله أو ليذر)).
وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ((لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلى من أن أحلف بغيره صادقاً)).
ومن المعلوم في الدين ، أن الحلف بالله كاذباً كبيرة من الكبائر ، لكن الشرك – وإن كان شركاً أصغر – أكبر من كل الكبائر ، في نظر فقهاء الصحابة رضي الله عنهم.
- لبس الحلقة والخيط:
التوحيد لا ينافي اتخاذ الأسباب التي وضعها في الكون ، كاستعمال الطعام للشبع ، والماء للري ، والدواء للعلاج ، والسلاح للدفاع ، ونحو ذلك من الأسباب التي جعلها الله مؤدية إلى مسبباتها.
فإذا مرض الإنسان وعرض نفسه على طبيب ، وقرر له استعمال دواء أو إجراء جراحة ، أو غير ذلك ، فقام به ونفذه ، فليس ذلك خروجاً عن التوحيد.
إنما ينافي التوحيد اللجوء إلى أسباب خفية لم يشرعها الله لرفع البلاء بعد وقوعه أو للوقاية منه قبل وقوعه فيما زعموا.

ومن ذلك لبس حلقة من المعدن ، أو وضع خيط يربط بالعضد ، فقد روى الإمام أحمد عن عمران بن حصين ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أبصر على عضد رجل حلقة – قال: أراها من صفر – فقال: ((ويحك ما هذه)) ؟ قال: من الواهنة تزيدك قال: ((ألا إنها لا تزيدك إلا وهناً ، انبذها عنك لو مت وهي عليك ، ما أفلحت أبداً)).
وإنما غلظ صلى الله عليه وسلم في الإنكار على الرجل ، تحذيراً من الشرك بكل صورة وتعلماً للصحابة أن يسدوا هذا الباب جملة وتفصيلاً.
ولهذا حين دخل حذيفة بن اليمان على مريض يعوده ، فوجد في عضده سيراً أو خيطاً يدفع به الحمى لم يسعه إلا أن قطعه ، ثم تلا قوله تعالى: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون).
- تعليق التمائم:
ومن هذا الباب تعليق التمائم ، وهي جمع تميمة ،

وهي خرزة أو خرازات كان العرب يعلقونها وخاصة على الأولاد ، زاعمين أنها تدفع عنهم الجن أو تقيهم العين ونحوها ، فأبطلها الإسلام وعلمهم أن لا دافع ولا مانع إلا الله تعالى.
روى أحمد عن عقبة بن عامر مرفوعاً: ((من تعلق تميمة فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له)). وفي رواية: ((من تعلق تميمة فقد أشرك))
ومعنى ((تعلق تميمة)) أي علقها متعلقاً بها قلبه في طلب خير أو دفع شر.
وإنما كانت شركاً ، لأن فيها طلب دفع الضر من غير الله تعالى. قال تعالى: (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير).
ومن هذه التمائم ما يسمى ((الجامعة)) أو ((الحرز)) أو ((الحجاب)) أو ما شابه ذلك من الأسماء ، فكلها من كبائر المنكرات ، وإزالتها واجبة على كل مستطيع. جاء عن سعيد بن جبير: أنه من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة ، أي كمن أعتق رقبة.
فإذا كانت التميمة من آيات القرآن ، أو تشتمل على أسماء الله تعالى وصفاته ، فهل تدخل في النهى عن التمائم أم تستثني منه ويجوز تعليقها ؟

اختلف السلف في ذلك ، فبعضهم رخص فيها ،وبعضهم منع. والذي نختاره هو المنع من التمائم كلها وإن كانت من القرآن ، لعدة أدلة:
أولا: عموم النهى عن التمائم ، فإن الأحاديث لم تستثن شيئاً.
ثانياً: سد الذريعة ، فإن الترخيص في تعليق التمائم إذا كانت من القرآن ، يفتح الباب لتعليق غيرها. وباب الشر إذا فتح لا يسد.
ثالثاً: أن هذا يعرض القرآن للامتهان ، حيث يحمله من علقه في الأماكن النجسة ، وفي وقت قضاء الحاجة وفي حالة الجنابة والحيض ونحوها.
رابعاً: أن في ذلك استخفافاً بالقرآن ومناقضة لما جاء له ، فإن الله أنزله ليهدي الناس للتي هي أقوم ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور ، لا ليتخذ تمائم وأحرازاً للنساء والأطفال.
- الرّقى:
ومما ينافي التوحيد: الرقى وهي كلمات وتمتمات كان يتعاطاها أهل الجاهلية معتقدين أنها تدفع عنهم

الآفات ، مستعينين بالجن أو مرددين بعض الأسماء الأعجمية أو الألفاظ غير المفهومة. فجاء الإسلام فأبطل ذلك ، كما في الحديث:
((إن الرقى والتمائم والتولة شرك)).
وقد جاء في الأثر: أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رأى يوماً في عنق زوجته خيطاً فسألها: ما هذا ؟ فقالت: خيط رقى لي فيه من الحمى.. فجذبه فقطعه فرمى به ، ثم قال: لقد أصبح آل عبد الله أغنياء عن الشرك ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((أن الرقى والتمائم والتولة شرك)) فقالت: لقد كانت عيني تقذف ، وكنت أختلف إلى فلان اليهودي فإذا رقى كنت ، فقال عبد الله: إنما ذلك عمل الشيطان ، كان ينخسها بيده ، فإذا رقى كف عنها ، إنما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((أذهب البأس رب الناس ، واشف أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقماً)).
فالرقى المحرمة ما كان فيها استعانة بغير الله تعالى ، أو كانت بغير اللسان العربي ، فإنه ربما كان كفراً أو قولاً يدخله الشرك.

وما عدا ذلك فلا بأس بالرقية به. ففي صحيح مسلم عن عوف بن مالك قال: كنا نرقى في الجاهلية ، فقلنا: يا رسول الله ، كيف ترى في ذلك ؟ فقال: ((اعرضوا على رقاكم ، لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً)).
وقال السيوطي: فقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:
1 – أن تكون بكلام الله أو بأسمائه أو صفاته.
2 – وباللسان العربي وما يفهم معناه.
3 – وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله تعالى.
والتولة المذكورة في الحديث هي ضرب من أعمال السحرة لتحبيب الرجل إلى امرأته أو المرأة إلى زوجها.
السحر:
ومن الشرك الذي حذر منه الإسلام: السحر ، وهو ضرب من التخييل والإيهام ، ومنه ما هو عزائم ورقى وعقد ونفث.
وإنما كان شركاً لأن فيه استعانة بغير الله تعالى من

الجن والشياطين أو الكواكب ونحوها ، ولهذا جاء في الحديث: ((من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك)) ، وهو من كبائر الذنوب في الإسلام وفي الأديان السماوية كلها ، جاء في القرآن على لسان موسى عليه السلام قوله: ((ولا يفلح الساحر حيث أتى) ، (قال موسى ما جئتم به السحر ، إن الله سيبطله ، إن الله لا يصلح عمل المفسدين).. وقد عده النبي صلى الله عليه وسلم في السبع الموبقات بعد الشرك.

وعلمنا القرآن أن نستعيذ بالله من شر السحر وأهله (ومن شر النفاثات في العقد) أي السواحر ، فإن السحرة إذا أرادوا عمل السحر ، عقدوا الخيوط ، ونفثوا على كل عقدة حتى ينعقد ما يريدون. ومعنى النفث: النفخ مع شيء من الريق.

وقد ذهب كثير من أئمة السلف إلى أن الساحر كافر ، وأن السحر كفر ، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد رضي الله عنهم. وجاء عن عدد من الصحابة أن عقوبة الساحر ضربة بالسيف. ففي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال: كتب إلينا عمر ابن الخطاب ، أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. قال: فقتلنا ثلاث سواحر. وصح قتل الساحر عن حفصة أم المؤمنين ، وعن جندب من الصحابة رصي الله عنهم. وفرق بعضهم بين من يستعين في سحره بالكفر فيكفر ، وإلا فهو فاسق.

وكما أن السحر حرام فإن المصدق لأهله ، الساعي إليهم لعمل السحر ، شريك لهم في الإثم ، قال صلى الله عليه وسلم: ((ثلاثة لا يدخلون الجنة ، مدمن الخمر ، ومصدق بالسحر ، وقاطع الرحم)) (رواه أحمد وابن حبان في صحيحه).

- التنجيم من السحر:

ومن أنواع السحر ما يعرف باسم التنجيم ، والمراد به هنا ما يزعم أهله أنهم يعرفون ما يخبئه المستقبل من أحداث عامة وخاصة عن طريق النجوم والنظر فيها. وهذا ضرب من السحر والدجل ، جاء في الحديث: ((من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر)). (رواه أبو داوود بإسناد صحيح). وليس هذا الحديث فيمن يتعلم من علم النجوم أبعادها ومنازلها وأحجامها ومداراتها ونحو ذلك بما يعرف بالملاحظة وآلات الرصد ونحوها. وهو ما يعرف

باسم ((علم الفلك)).. فهذا علم له أصوله وقواعده ووسائله.
ولكن هذا الحديث فيمن يتعلم من هذا العلم ما يؤدي إلي الكفر ، كادعاء معرفة الغيب ، فهذا من السحر والشرك ، إذ لا يعلم الغيب إلا الله.
- التولة سحر وشرك:
ومن السحر ما شاع من قديم بين السحرة ، وهو كتابة بحروف وكلمات وتعليق بعض الأشياء ونحو ذلك. بدعوى تحبيب المرأة إلى الرجل ، أو تحبيب الرجل إلى المرأة.
وقد سبق في الحديث: ((إن الرقى والتمائم والتولة شرك)).
- الكهانة والعرافة:
ومثل المنجم الكاهن والعرّاف.
والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل ، أو هو الذي يخبر عما في الضمير.

والعرّاف اسم للكاهن والمنجم والرّمال ومن شابه هؤلاء من كل من يدعي معرفة المغيبات ، سواء ما يكنه المستقبل أو ما يكنه الضمير. وسواء أكان ذلك عن طريق الاتصال بالجن أم النظر أو الخط في الرمل أو قراءة الفنجان أو خلاف ذلك.
روى مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من أتى عرافاً ، فسأله عن شيء فصدقه ، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً)).
وروى أبو داود عنه صلى الله عليه وسلم: ((من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد – صلى الله عليه وسلم)).
وذلك لأن مما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم أن الغيب لا يعلمه إلا الله ، قال تعالى: (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) ، (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو) ، (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول)..
حتى النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ليعلم من الغيب إلا ما أعلمه الله عن طريق الوحي. ولهذا خاطبه بقوله: (قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون).
كما أن الجن الذين يستعين بهم السحرة والكهنة

ليس لهم قدرة على معرفة الغيب ، وقد ذكر القرآن عن جن سليمان أنهم لم يعلموا موت سليمان: (فلما تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين).

ولهذا كان تصديق الكهنة والعرافين – في زعمهم معرفة الغيب – كفراً بما أنزل الله من آيات بينات.

وإذا كان إتيان هؤلاء وتصديقهم بهذه المنزلة من الشناعة في الدين ، فما بالك بهؤلاء الكهنة والعرافين أنفسهم ؟ إنهم براء من الدين كما أن الدين برئ منهم ، جاء في حديث: ((ليس منا من تطيّر أو تطير له ، أو تكهن أو تكهن له ، أو سحر أو سحر له)). (رواه البزار بإسناد جيد).

النذر لغير الله:

من الشرك النذر لغير الله تعالى ، كالنذر للقبور وأصحابها. ذلك أن النذر عبادة وقربة ، والعبادة لا يجوز أن توجه إلا إلى الله تعالى. قال تعالى: (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه ، وما للظالمين من أنصار). والمراد بالظالمين في الآية: المشركون. فإن الشرك ظلم عظيم ، ومن قصد بالعبادة غير الله تعالى فقد أشرك.

قال بعض العلماء: النذر الذي ينذر له أكثر العوام – على ما هو مشاهد – كأن يكون للإنسان غائب أو مريض أو له حاجة فيأتي إلى مقبرة بعض الصالحين ، ويقول: يا سيدي فلان ، إن رد الله غائبي أو عوفي مريضي أو قضيت حاجتي فلك من الذهب كذا ، أو من الطعام كذا ، أو من الشمع والزيت كذا – فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه:

منها: أنه نذر لمخلوق ، والنذر للمخلوق لا يجوز ، لأنه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق.

ومنها: أن المنذور له ميت ، والميت لا يملك.

منها: أنه ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله واعتقاد ذلك كفر.

ثم قال: إذا علمت هذا ، فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها وينقل إلى ضرائح الأولياء تقرباً إليها فحرام بإجماع المسلمين.

وإذا كان هذا النذر حراماً ، فلا يلزم الوفاء به ، بل لا يجوز لثلاثة أدلة:

الأول: أنه جاء على غير أمر النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال: ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا

فهو رد)) (رواه مسلم).
الثاني: أنه نذر لغير الله فهو شرك ، والشرك لا حرمة له ، فهو مثل الحلف بالمخلوقات ، لا يجب الوفاء به ، ولا كفارة فيه ، وليس فيه إلا الاستغفار ، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية.
الثالث: أنه نذر معصية ، وقد بينت السنة أن كل نذر اشتمل على معصية أو شرك لا يلزم الوفاء به ، بل لا يجوز الوفاء به ، ففي صحيح البخاري عن عائشة مرفوعاً: ((من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه)).

وعن ثابت بن الضحاك: أن رجلا نذر أن ينحر إبلا ببوانة ، فسأله النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد)) ؟ قالوا: لا. قال: ((فهل كان فيها عيد من أعيادهم)) ؟ قالوا: لا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم)). (رواه أبو داوود).
- الذبح لغير الله:
ومن الشرك: تقديم القرابين وذبح الذبائح لغير الله تعالى. فقد جرت عادة المشركين في كل أمة أن يتقربوا بذبائحم إلى آلهتهم وأصنامهم. فأبطل الإسلام ذلك وحرم (ما أهل لغير الله به) أي ما ذكر عليه اسم من صنم أو نحوه (وما ذبح على النصب) أي ما نصب من حجر أو شجر أو صنم ليعبد أو يعظم أو يتبرك به. وأمر أن يكون الذبح لله وحده.
ولهذا أمر الله رسوله أن يجعل صلاته ونحره لله: (فصل لربك وانحر) ، وأن يعلن في المشركين ، أن هديه مخالف لهم في صلاته ونسكه: (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له ، وبذلك أمرت).. والنسك هو الذبح بقصد التقرب.
وعن علي رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات: ((لعن الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والديه ، لعن الله من آوى محدثاً ، لعن الله من غير منار الأرض)). (رواه مسلم).
وعن طارق بن شهاب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((دخل الجنة رجل في ذباب ، ودخل النار رجل في ذباب)) – أي بسبب ذباب – قالوا: وكيف يا رسول الله ؟ قال: ((مر رجلان على قوم لهم صنم ،

لا يجوزه أحد حتى يقرب إليه شيئاً ، فقالوا لأحدهما: قرب. قال: ليس عندي شيء أقرب ، قالوا له: قرب ولو ذباباً.. فقرب ذباباً ، فخلوا سبيله ، فدخل النار ، وقالوا للآخر: قرب.. فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل ، فضربوا عنقه ، فدخل الجنة)) (رواه أحمد).

أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على هذا الرجل المؤمن وأخبر عن دخوله الجنة ، لأنه صبر على القتل ، ولم يرض بتقديم أي شيء لغير الله عز وجل. لأن القضية قضية مبدأ قبل أي شيء. ومن قبل أن يقدم لغير الله ذباباً أوشك أن يقدم بعد ذلك جملا !
ومن حرص الإسلام على التوحيد ومجانبة الشرك: أنه أمر ألا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله. كما في حديث ثابت بن الضحاك السابق في الرجل الذي نذر أن ينحر إبلاً ببوانة.
- الطيرة شرك:
ومن الشرك ((الطيرة)) ، ومعناها التشاؤم ببعض الأصوات المسموعة أو الأشياء المرئية أو نحو ذلك ، فإذا رده شيء من ذلك عن حاجته التي عزم عليها كسفر أو زواج أو تجارة أو نحو ذلك ، فقد دخل في الشرك لأنه لم يخلص توكله على الله ، ولأنه التفت إلى سواه ، وجعل للتطير في قلبه نصيباً.
روى الإمام أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك)) ، فقالوا: فما كفارة ذلك ؟ قال: ((أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك ، ولا طير إلا طيرك ، ولا إله غيرك)).
وأما ما يجده الإنسان في نفسه من انقباض أو توجس للشر من بعض الأشياء فلا يؤثر ولا يضر ، إذا مضى في طريقه متوكلاً على الله ، ولم يرده التطير عن قصده وغايته. روى أبو داوود والترمذي عن ابن مسعود مرفوعاً: ((الطيرة شرك ، الطيرة شرك ، وما منا ، إلا.. ولكن يذهبه الله بالتوكل)).
ومعنى ((وما منا إلا..)) أي ما منا أحد إلا وقر في قلبه شئ من ذلك بمقتضى الضعف البشري ، ولكن مزية المؤمن أن الله يذهب من قلبه تلك الخواطر من أثر توكله على الله: ((ومن يتوكل على الله فهو حسبه)).
وضد الطيرة: الفأل. وهو توقع الإنسان الخير ، بناء على كلام سمعه أو شئ أبصره أو نحو ذلك.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن ، ففي الحديث: ((يعجبني الفأل. قالوا: وما الفأل ؟ قال: الكلمة الطيبة)).

مثال التفاؤل: أن يكون رجل مريض ، فسمع آخر يقول: يا سالم ، فيتفاءل بالسلامة والصحة.. فهذا أمر حسن ، لأنه داع على سعة الأمل وحسن الظن بالله تعالى ، بخلاف الطيرة فإن فيها سوء الظن بالله تعالى وتوقع البلاء من غير سبب يفضي إليه.

الإسلام يسد المنافذ إلى الشرك

لقد جاء الإسلام بالتوحيد الخالص ، وحارب الشرك أكبره وأصغره ، وحذر منه أشد التحذير ، واتخذ لذلك وسائل شتى ، أبرزها سد كل المنافذ التي تهب منها ريح الشرك.

من هذه المنافذ ما يأتي:

• الغلو في تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم:

نهى النبي صلى الله عليه وسلم – عن الغلو في تعظيمه ومدحه فقال: ((لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله)) (متفق عليه).

والقرآن الكريم أثنى عليه صلى الله عليه وسلم بالعبودية لله في أشرف المقامات ، تأكيداً لهذا المعنى كقوله تعالى: (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً)،وقوله (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً) ، وقوله: (فأوحى إلى عبده ما أوحى).

وكان صلوات الله عليه إذا رأى أو سمع ما يؤدي إلى الغلو في شخصه ، زجر من قال ذلك أو فعله ، ونبهه إلى الحق والسداد.

روى أبو داوود بسند جيد عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: أنت سيدنا.. قال: ((السيد الله تبارك وتعالى)).

وعن أنس أن أناساً قالوا: يا رسول الله ، يا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا ، فقال: ((يا أيها الناس ، قولوا بقولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان.. أنا محمد عبد الله ورسوله. وما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل)) ((رواه النسائي بسند جيد).

ولما قال له رجل: ما شاء الله وشئت قال:

((أجعلتني لله نداً ؟ قل: ما شاء الله وحده)). (رواه النسائي).

• الغلو في الصالحين:

ومما نهى عنه الإسلام وحذر منه ، الغلو في شأن الصالحين.

فقد غلا قوم في شأن المسيح حتى جعلوه أبناً لله ، أو ثالث ثلاثة ، وقال بعضهم: إن الله هو المسيح ابن مريم.

وغلا قوم في أحبارهم ورهبانهم فاتخذوهم أرباباً من دون الله ، من هنا حذر الله من غلو أهل الكتاب وشنع عليهم في ذلك فقال: (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق) ، (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل).

وأول شرك وقع في الأرض – هو شرك قوم نوح – كان سببه الغلو في الصالحين. جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس في الحديث عن آلهتهم ((ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر)) قال: ((هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا فيها أنصاباً ، وسموها بأسمائهم. ففعلوا..ولم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم ، عبدت)).

وقال بعض السلف: لما ماتوا علقوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثليهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

ومن هنا نعلم أن غلو بعض المسلمين فيمن يعتقدون صلاحهم وولايتهم الله ، وبخاصة أصحاب الأضرحة والمزارات – يؤدي إلى أنواع من الشرك ، كالنذر لهم والذبح لهم والاستعانة بهم والإقسام بهم على الله ونحو ذلك ، وقد يفضي بهم الغلو إلى الشرك الأكبر وهو اعتقاد أن لهم سلطة وتأثيراً في الوجود ، وراء الأسباب والسنن الكونية ، فيدعون من دون الله أو مع الله ، وهذا هو الإثم العظيم والضلال البعيد.

• تعظيم القبور:

ومما حذر منه الإسلام أشد التحذير. تعظيم القبور ، وبخاصة قبور الأنبياء والصالحين ، ولذلك نهى عن جملة أشياء تفضي إلى تعظيم القبور منها:

1- اتخاذها مساجد:

روى مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال قبل أن يموت بخمس: ((ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، إني أنهاكم عن ذلك)).

وعن عائشة وابن عباس قالا: ((لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم – أي في حالة الاحتضار – طفق يطرح خميصة له على وجهه. فاذا اغتم كشفها ، فقال وهو كذلك: ((لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) يحذر ما صنعوا. (متفق عليه).

2- الصلاة إليها:

ففي الحديث: ((لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها)) (رواه مسلم).

أي لا تجعلوا القبور في اتجاه القبلة.

3- إضاءتها وإيقاد السرج عليها:

في الحديث: ((لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج)). (رواه أحمد والترمذي وغيرهما).

4- البناء عليها وتجصيصها:

روى مسلم عن جابر قال: ((نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تجصيص القبر ، وأن يقعد عليه وأن يبني عليه بناء)).

5- الكتابة عليها:

لحديث جابر: ((أنه صلى الله عليه وسلم نهى أن تجصص القبور وأن يكتب عليها)) (رواه أبو داوود والترمذي).

6 – تعليتها ورفعها:

لحديث عليّ: ((أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه وأمره ألا يدع قبراً مشرفاً إلا سواه)). (رواه مسلم).

كما جاء في سنن أبي داوود نهيه عليه الصلاة والسلام أن يزاد عليها غير ترابها من الأحجار ونحوها. ولهذا كان السلف يكرهون الآجر على قبورهم.

7 – اتخاذها عيداً:

روى داوود عن أبي هريرة مرفوعاً: ((لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا تجعلوا قبري عيداً ، وصلوا على فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم)).

وروى أبو يعلي بسنده عن علي بن الحسين ، أنه رأى رجلاً يجئ إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله

عليه وسلم. فيدخل فيها ويدعو ، فنهاه وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته عن أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تتخذوا قبري عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً ، فإن تسليمكم يبلغني حيث كنتم)) ومعنى اتخاذ القبر عيداً قصده للاجتماع فيه والقعود عند ونحو ذلك.

وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أفضل قبر على وجه الأرض ، فإذا نهى عن اتخاذه عيداً فقبر غيره أولى بالنهى ، كائناً من كان. ويكفي أن يصلي ويسلم على الرسول صلى الله عليه وسلم فتصله صلاته وسلامه حيثما كان.

• الحكمة في هذا التحذير:

والحكمة في نهى الإسلام عن تعظيم القبور أنه ذريعة إلى الشرك الأصغر والأكبر كما رأينا في قوم نوح ، وكما هو مشاهد إلى اليوم. فالغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً معبودة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: ((اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)). (رواه مالك).

ومما يأسف له كل مسلم غيور على دينه أن ما حذر منه الرسول صلى الله عليه وسلم قد وقع فيه كثير من أهل الإسلام. فقد اتخذوا قبور بعض الصالحين أعياداً ، وشيدوها وزخرفوها ، وبنوا عليها المساجد والقباب ، وأوقدوا عليها السرج والقناديل ، ووقفوا لذلك الوقوف ، ونذروا لها النذور ، وطافوا بها كالكعبة ، واستلموها كالحجر الأسود ، وأوسعوا جدرانها لثماً وتقبيلاً ، ومنهم من يسجد لها ، ويعفر الخدود على ترابها. ويقف خاشعاً مستكيناً ، يستغيث بأصحابها ، يسأله – مشافهة – قضاء الديون ، وتفريج الكربات ، وإغاثة اللهفات ، وشفاء المرضى ، والنصر على الأعداء ، وبعضهم يقدم طلباته مكتوبة في رقاع إلى صاحب القبر ، وهذا من الشرك الصريح ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

التبرك بالأشجار والأحجار ونحوها:

ومن الشرك الذي حاربه النبي صلى الله عليه وسلم التبرك بالأشجار والأحجار والقبور ونحوها. على اعتقاد أن لها سراً أو بركة خاصة ، ينالها من يتمسح بها ، أو طاف حولها ، أو زارها ، أو جلس إليها.. وهذا مما يفضي بمن فعله إذا تمادى فيه إلى الشرك

الأكبر. فإن أصنام العرب الكبرى كانت إما صخرة كاللات ، أو شجرة كالعزى ، أو حجراً كمناة. ولهذا حذر النبي صلى الله عليه وسلم منه وزجر عنه.

وقد روى الترمذي عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين – ونحن حديثو عهد بكفر ، وللمشركين سدرة – شجرة نبق – يعكفون عندها ، وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها ذات أنواط.. فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الله أكبر ، إنها السنن ، قلتم – والذي نفسي بيده – كما قالت بنو إسرائيل لموسى: (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، قال إنكم قوم تجهلون) لتركبن سنن من كان قبلكم)). (رواه الترمذي وصححه).
فالظاهر أنهم كانوا يريدون مجرد التبرك بهذه الشجرة وتعليق أسلحتهم عليها ، فزجرهم النبي صلى الله عليه وسلم هذا الزجر الشديد ، سداً للذريعة إلى الشرك.
ومما يؤسف له أن كثيراً من المسلمين قد انحرفوا عن هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتبعوا سنن من كان قبلهم ، فاتخذوا لهم ((أنصاباً)) يتبركون بها ، يتمسحون بها ، ويدعون عندها ، ويتوسلون بها ، ويتعلقون بها ، تعلقاً يشبه تعلق المشركين بالأصنام. وكم في بلاد المسلمين من ((ذوات أنواط)) مما زجر عنه نبيهم صلى الله عليه وسلم.
والواجب على المسلمين وعلى حكامهم وعلمائهم خاصة إزالة هذا المنكر وهدم هذه الأنصاب ومحوها من شجرة أو عمود ، أو قبر أو خشبة ، أو عين أو حجر أو غيرها ، اقتداء بما فعله النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث علياً وأمره بهدم القبور المشرفة وتسويتها بالأرض كما في صحيح مسلم عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي رضي الله عنه: ((ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم.. ألا أدع تمثالاً إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)).

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي المالكي: ((ولما بلغ عمر رضي الله عنه أن الناس يأتون الشجرة التي

بايع الصحابة تحتها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصلون عندها ، أرسل فقطعها ، خوفاً على المسلمين من الفتنة)).

فاذا كان هذا فعل عمر بالشجرة التي ذكرها الله في القرآن ، وبايع الصحابة تحتها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فماذا يكون حكمه فيما عداها من هذه الأنصاب والأوثان التي عظمت الفتنة بها ، واشتدت البلية بها !

وقال الإمام الطرطوشي: انظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون البرء والشفاء من قبلها ، ويضربون بها المسامير والخرق ، فهي ((ذات أنواط)) فاقطعوها.

وعن المبرر بن سويد قال: ((صليت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في طريق مكة صلاة الصبح ، فقرأ فيها: (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) ، و (لإيلاف قريش) ثم رأى الناس يذهبون مذاهب ، فقال: أين يذهب هؤلاء ؟ فقيل: يا أمير المؤمنين ، مسجد صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم فهم يصلون فيه. فقال: إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا ، كانوا يتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعاً ، فمن أدركته الصلاة منكم في هذه المساجد فليصل ، ومن لا فليمض ولا يتعمدها)).

وهذا من فقة عمر رضي الله عنه وحرصه على عقيدة العامة ، وخشيته من الغلو والانحراف.

الألفاظ الموهمة للشرك:

ومما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم الألفاظ التي فيها إيهام للشرك وإساءة للأدب مع الله ، وذلك حماية منه لحمى التوحيد.

(أ) من ذلك قول القائل: ما شاء الله وشاء فلان ، أو باسم الله واسم الأمير ، أو اسم الشعب ، وقد مر بنا إنكار النبي صلى الله عليه وسلم لمن قاله له ذلك.

روى حذيفة عنه صلى الله عليه وسلم قال: ((لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان)). (رواه أبو داوود بسند صحيح).

(ب) ومن ذلك قولهم: لولا الله وفلان ، أو اعتمدت على الله وعليك ، وما شابه هذه الألفاظ ، قال ابن عباس في تفسير لقوله تعالى: (فلا تجعلوا لله أنداداً): الأنداد هو الشرك ، أخفى من دبيب النمل ، على صفاة سوداء ، وفي ظلمة الليل ، وهو أن

تقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي ، وتقول: لولا كلبه هذا لأتانا اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت ، وقل الرجل: لولا الرجل وفلان.. هذا كله به الشرك)) (رواه ابن أبي حاتم).

(ج) ومن ذلك التسمي بأسماء الله تعالى ، أو بما لا ينبغي إلا لله.

روى أبو داوود عن أبي شريح أنه كان يكنى أبا الحكم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله هو الحكم واليه الحكم)) ثم كنى بولده ، شريح أكبر أولاده.

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن أخنع اسم (1) عند الله رجل تسمى: ملك الأملاك.. لا مالك إلا الله)) قال سفيان بن عيينة مثل: ((شاهنشاه عند العجم ، لأن معناها ملك الملوك)). (1) أخنع اسم: أوضع اسم وأذله.

وفي رواية: ((أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه)).

(د) ومن ذلك أن يسمى الإنسان باسم معبد لغير الله ، كعبد الكعبة أو عبد النبي ، أو عبد الحسين ، أو عبد المسيح ، ونحو ذلك ، فقد نقل ابن حزم الإجماع على تحريم التسمية بذلك ، باستثناء عبد المطلب.

(هـ) ومن ذلك: سب الدهر عند نزول الشدائد والنكبات بالناس. فإن سب الدهر حينئذ كان نوعاً من شكوى الله تعالى أو السخط عليه ، فإنه هو الذي يدبر الأمر ، ويقلب الليل والنهار ، وهو الفاعل لكل ما في الكون من أحداث.

ولهذا جاء في الحديث الصحيح: ((قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر ، أقلب الليل والنهار))

الفهرست:

الإيمان بالله أصل العقائد كلها
لا إله إلا الله عنوان التوحيد
التوحيد جوهر الإيمان بالله
التوحيد المأمور به
توحيد الربوبية
توحيد الألوهية
معنى العبادة

صور العبادة وأنواعها
أهمية توحيد الألوهية
بماذا يتحقق التوحيد
إخلاص العبودية لله
الكفر بالطواغيت
اتقاء الشرك
أنواع الشرك
الشرك الأكبر
ألوان من الشرك الأصغر
الحلف بغير الله
لبس الحلقة والخيط
تعليق التمائم
الرقي
السحر
النذر لغير الله شرك
الذبح لغير الله شرك
الطيرة شرك
الإسلام يسد المنافذ إلى الشرك
الغلو في النبي عليه الصلاة والسلام
الغلو في الصالحين
تعظيم القبور
التبرك بالأحجار والأشجار ونحوها
الألفاظ الموهمة للشرك